

من المعجم إلى الميدان .. كيف طوِّر الفلسطينيُّ

د_لالـــــة ألفاظــــــه؟

- . . .
- • •
- • •



من المعجم إلى الميدان .. كيف طور الفلسطيــــــنى ٌ دلالة َ ألفاظه؟



على سبيل التقديم

تزامناً مع حلول اليوم العالمي للغة العربية، تلتفت ُ المادة التي بين أيدينا إلى حقـــــل طريف من حقول اللغة ومو تطور دلالة الألفاظ من المعنى المعجمي، إلى معنى آخر، أو إلى تقييد أو إطلاق آخر منطلق من المعنى المعجمى.

وفي السياق الفلسطيني، الذي اكتسب خصوصيته من الاحتلال والنضال ضده، تبرز ُ مجموعة مـن الألفاظ التي اكتست بالمعنى الفلسطيني، وهذا يؤشر إلى أن ّ النضال الذي هو فـــــــي جهة من جهاته نضال منطلق من الهوية المستقلة، ومدافع ُ عنها (والعربية ركن أساسي مــــن أركان الهوية الفلسطينية)، فإنه يمكن ُ أن نقول إن النضال واحد ُ من ضروب الإنتاج في اللغة الـــــذي يمنحها حياتها وديمومتها.

التحرير

مقدمة

في اللغة هنالك ظاهرة تدعى بـ "التطو"ر الد" لالي(1)، وهي ظاهرة لغوية، تسلط الضوءَ على انزياجِ الألفاظ عن معانيها بين السابق واللاحق؛ رفَعاً للإشكال الحاصل عند فهم اللاحق لنص السابق، ذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية أيضاً، تتطور ُ بتطور المجتمع، ولا يمكن عزلها عنه، وهــــي أرحب ُ من أن تضيق دلالات ُ ألفاظها عن تطور ِ الحياة وتداخلِ اللغات وإلحاجِ الحاجة فـــــي المجالات كافة، الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والإعلامية والسياسية وغيرها.



في السياقات السياسية، يجد الدارس أن لغة السياسة قد تطورت ووجدت ْ سبيـــلاً لمفاميـــــم سياسية جديدة، ولم ْ يعد من المقبولِ أن ْ يستخدم َ السياسي اللغة في غير مواضعها أو لغيــر الدلالة التي تعطيما بما يتناسب مع وعي الزمان ِ الذي قيلت فيه ِ ؛ لأن ّ اللغة َ تخضــع ُ السياسة َ لما ولا تخضع ُ مي للسياسة ِ .

تعالج هذه الورقةُ البحثيةُ مسألةَ التطور الدلالي تحديداً في لغة السياســــة والألفــــــاظ التي تستخدم في سياق القضية الفلسطينية، لحساسية ِ القضية والصراع الممتد منذُ أكثر مـــن 100 عام، ولأن المستعمر يبحث عن أية ثغرة ٍ ليدخل منها مهما كانت، إن لغة ً وإن ثقافة ً .

نماذج تطبيقية

الحاجز: جاءً في معجم لسان العرب أن الحاجز هو اسم ما يفصل بين الشيئين(1)، وفــــي محكم التنزيل يقول تعالى: ﴿و َجعل بين البحرين حاجزاً ﴾(2)، أي فاصلا يحــول ُدون ِ امتزاجهـــما(3)، وهي دلالة متقادمة أعمُ من الدلالة ِ اللاحقة ِ الحادثة، التي تعني أنه نقطة ُ تفــتيش، لا تقتصر على كونها تفصل بين منطقتين(4).

العميل: كلمة جذرها عمل ومنها العامل والعميل ، وهي مفردة تحمل عند اللاحـــــق دلالة مستقبحة في سياق النضال والمقاومة، حيث إن العميل هو عين ُ العدو عسلى أهله، وهو الجاسوس الذي يخدم مصالح أعدائه(6)،ولكن الدلالة في السابق لـــــم تكن كذلك، فالعميل في السابق هو من يعامل غيره في شأن ٍ من الشؤون كالتجارة ِ وغيرٍ ها"(7).

ما بين عميل السابق، وعميل اللَّاحق، انقلبت الدلالة وصارت سلبية َ يكره ُ صاحبها، بعدما كانــت لمن يعمل ُ عملا مشروعا، أصبحت تطلق على من يجلب ُ عارا وذلا عظيما لنفسه بسبـــب تعامله



مع العدو، وتصل إلى حد مقاطعته أو التبرئ منه أو قتله.

المخيم: من الخيمة، والخيمة هي بيت من بيوت_ الأعراب، تبنـــــــى من عيدان_ الأشجار_(8)، وقد تطورت دلالة الخيمة وأصبحت التي تبنى من القماش أو الصفيح وما شابه(9)، والمخيــــــــم اسم مكان من خيم، وهو المكان الذي يضمُّ عددا من الخيام، هذا في الدلالة السابقة، أمــــــا الدلالة الحادثة للمخيم فقد تطورت، وشمدت رُقياً على مستوى الشكل، يتضح من الاستعمال الحالــي للفظة المخيم في السياق الفلسطيني.

بالعودة لأحداث النكبة الفلسطينية عام 1948، بعدما مج ر َ الأهالي من أراضيهم، وكان آنـذاك أمل العودة يسيطر على وجدانهم، أقاموا الخيم مؤقتاً ا واَ ُصبح اسم المكان مخيـّم()، ومــع سيرورة المكان والزمان والأحداث، وتعنت الاستعمار واستيطانه في الأرض الفلسطينية، أقيــم للاجئين بيوت حجر بدلا من الخيام، مع احتفاظ المخيم باسمه.

من الواضح أن الدلالة تطورت وترقت على المستوى الشكــــــلي، والجامع بين الدلالتين الإقامة والتخييم، ولم يعد مخيم اللاحق مجرد مكان ٍ تنصب فيه الخيم، إنما أصبح رمزاً وطنياً فلسطينياً، وصارت المخيمات تكبر وتتسع مع تزايد اللاجئين، مع ثبات رمزية المخيـّم وتمسك أهله بالعودة لبيوتهم وأراضهم(۱۰).

يتضح مما ذكر أنّ دلالة َ التطبيعِ انتقلت من كونها دلالة َ عامة َ للتطبع بأي شيء والتعــــود عليه، إلى كونها خاصة بالاعتراف بالاستعمار الإسرائيلي وجعل العلاقات معه طبيعية ِ اعتيادية، وهي أيضاً دلالة ُ سلبية شهدت انحطاطاً، فالتطبيع غير مقبول وصاحبــــــه مدان ُ ؛ يستحق المقاطعة طالما لم يتراجع عن فعله ﴿).

المفاوضات: فاوض يفاوض مفاوضة ً ، والجمع ُ مفاوضات، وقد حملت هذه المفردات مـــعاني التفويض أي التوكيل والمجاراة والأخذ في الحديث والشركة، وفي لسان العرب،، المفــــــاوضة:



"المساواة والمشاركة ومي مفاعلة ُ من التفويض" (أ)، فدرجت في ســــــياق ترديد الأفكار ومراجعتها ومباحثتها بين المتناظرين، ثم استخدمها اللاحق ُ لوصف فعل المفاوض، حـــيث يشارك صاحب ُ الرأي وينسق معه بهدف الوصول إلى اتفاق (أ)، وفي مجال القضية الفلسطينية فالمفاوض هو من يقوم بالمفاوضة مع الاستعمار الإسرائيلي، بهدف البحث عن حـل ّ مشترك للقضية الفلسطينية، وقد استخدمت في عموم الصراع العربي الإسرائيلي بين "إسرائيل" والـدول العربية التي أجرت مباحثات سلام معها، وهي بالضرورة مستخدمة في العديد مــــن السياقات التجارية والسياسية والقانونية العالمية، بيد أن المفاوضات في السياق الفلسطيني أفضت إلـــي سياسات أخرى كالتنسيق وتبادل المعلومات، مما جعلها مفردة ذات دلالة مستقبحة ٍ لأنهــــا تدخل ضمن فعل التطبيع، وتشريع الاحتلال، وخدمة مصالحه، فضلا عن التبــــــاين الفلسطيني الداخلي حول الموقف من مبدأ مفاوضة العدو ّ أصلاً .

المستوطن: عند النظر في مفردة "المستوطن" في السياق الفلسطيــــــني، يظهر أنه جوهر ُ الصميونية_، ويقوم ُ الاستيطان على المجرة_ إلى الأراضي الفلسطينية_ وامتلاكها وتسجيلــها ملكية عامة لليهود_ (®)، والمستوطن ُ هو هذا المهاجر ُ الذي يملك الأراضي، ويقوم الاستعمار الإسرائيلي على حمايته، وقد نشأ المصطلح ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر.

في المقابل ، ما مي الدلالةُ السابقة للمستوطن ؟ جاءَ في اللسان ِ مصطلح استـــوطن َ الأرضَ بمعنى اتخذَما وطناً، والوطن ُ مو المنزل ُ تقيم َ به ِ (٤)، وفي معجم ِ ألفـــــاظ ِ العــــربية ِ المعاصرة ِ "المستوطن" مو الذي يقيم ُ في بلد ليس َ بلده ويقيم ُ به، يقال استوطن اليــمود أرض فلسطين أي اتخذوما وطناً (٤).

من الواضح أن الدلالة السابقة تتباين عن اللاحقة، تبعًا للحالة السياسية والحاجة لتخصيص الدلالة لتناسب حال المجرات اليموديِّة والمقيمين عنوة في الأرض الفلسطينية عوضاً عن أَصلــــــــــــــــــــــــــــــــ وشهدت الد_لالة انحطاطاً أيضاً؛ لأن دلالة المستوطن في السياق الفلسطينيِّ تشير للمستعمر الذي ينهب ُ الأرض َ بغير_ وجه_ حقٍ ، فكيف َ تكون ُ هذه الدِّلالة ُ مستحسنة ً ؟

التمويدُ: يعني "أن يصير الإنسان يمودياً "﴿﴾، ولكنَ ّ الدلالة الحادثة أصبحت تحمل دلالة عــــامة ً أكثر، وحملت دلالات جديدة، فالتمويد الحادث مو: "مجموعة السياسات والقوانين والإجــراءات التي مارستما الحكومة الصميونية منذ عام 1947 ميلادي حتى الآن؛ بمدف تغييب الطابع العربي عن الأرض أو المقد ّ سات الدينية"(٤).



الانتفاضة: من نفض ينفض ُ نفْضاً، والأخيرة مصدر من الأولى، وتعني أخذ الشــــــيء وتحريكه لنفض التراب عنه ﴿ وَمِنَهَا انتفض، ويقال انتفض العصفور إذا تحر ّ ك واضطرب ﴿ وَالْبِنَفَاضِـةَ اسم مرة من انتفض ٓ ، أي أنها الحركة والاضطراب. ومع سيرورة الزمان والمكان وفـــــي سياق القضية الفلسطينية، انتقلت دلالة الانتفاضة ُ إلى مضمار السياسة، وصارت شكلاً من أشكــــال مقاومة المستعمر، قد تستمر لسنوات، وتضم شريحة ً واسعة ً من الشعب، لهم ْ أمـــــداف سياسية محددة، يسعون َ لتحقيقها تارة ً بطرقٍ سلمية، وتارة بطرقٍ أخرى تــــــوازي فعل المستعمر ﴿ الله الله الله المستعمر ﴾ .

السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل ثهة تطور ُ دلالي ٌ طرأ على مفردة الاجتيــــاح؟ والإجابة نعم، يتجلى ذلك في كون ِ الاجتياح ِ سابقاً يحمل ُ في طياته ِ معنى الإتيان على شيء، ومنـــها الإتيانُ على الأموالِ ، ولكن الدلالة اتسعت ْ وأصبحت ْ تمثل ُ عملية ً عسكرية ً منظمة ً يلحقها التدمير والقتل، والإتيان على الأرواح والبنيان والأموال، لا على الأموال فقط، والجامع بين الدلالتين هـو الاستئصال.



ه) انظر: عولي فارس، سراي عرابي، مقاصيم، ومصطلحات القضية الفلسطينية. صفحة 10. () انظر: الآر يندي: كاح العروس، مادة (و و ج) () انظر: الآرا يدوي كاح العروس، مادة (و و ج) () انظر: ابن فارس، مقايس الفارع، مذاه (ان 5 س)، وابن منظور، لسان العرب، مادة (ان ك س

سياق دعم النظام النصاري، ليعد ّ المصطلح مخففــا من حقيقة المزيمة التــــــي لم تكن سوى نكبة أخرى.

الرباط: مفردة تعني الإقامة على الثغور التي قد يدخل منها الأعداء (﴿)، وقد اختصت سابقاً بمعنى ۗ يتعلق برباط الخيل، "ثم صار لزوم ُ الثغر رباطاً " (﴿). وفي فلسطين نقول نحـــــن في أرض الرباط، ومداد الشمداء والأسرى الممتد.. شامد على ذلك، كما زاد اختص المعنى بالرّباط في المســجد الأقصى المبارك، مع الخطر الدامم الذي يتمدده اقتحاماً وتمويداً وتقسيماً زمانياً ومكانيــّـــا، حتى أطلق لفظ المرابطين والمرابطات في السياق الفلسطيني على عمّار المسجد الأقصى.

الخاتمة

في الختام، يظهر مما سبق أن دلالات ألفاظ لغوية معينة تتطور تبعاً للحالة الفلسطين والمعطيات المتوقعة وغير المتوقعة، والمستعمر ُ في حالاته كافة يستهدف هذه البلد، والمعطيات المتوقعة وغير المتوقعة، والمستعمر أفي حالاته كافة يستهدف هذه البلد، بما يتضمن لفتها وهويتها الثقافية، وهذا ما ترجمه الاستعمار الغربي للدول العربية فعلا على أرض الواقع في الجزائر ولبنان ومصر وسوريا وفلسطين وغيرها، وتجلى ذلك عبسلسات العولمة وخلق عقد نقص في قلوب المتحدثين باللغة العربية، تصيب ثقافتهم العربيسة بالمشاشة، فيقبلون على لغة المستعمر وثقافته. ﴿وَا

المصادر والمراجع

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.
- رمزي منير بعلبكي وآخرين، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2013م.
- ساري عرابي، لماذا نرفض التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي؟، "ورشة الب<mark>حرين الاقتصادية".. لماذا</mark> • يرفض الكثيرون التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي؟، ميدان/ الجزيرة نت، https://bit.ly/3v2ggFl ،21/4/2019
- طلال ناجي، الاستيطان الصميوني والمقاومة الفلسطينية، ط1، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار والجمعية الجغرافية الفلسطينية، القدس، 1987م.
- عبد الله السناوي، «إرث عبد الناصر» | 5 يونيو: كيف وقع الزعيم في الفخ المنصوب؟، صحيفة " الأخبار اللبنانية، https://bit.ly/3VaYqLj،2019/9/19



- علي الجرباوي، المفاوضات العربية والفلسطينية مع إسرائيل: الأزق والحلّ ، مجلّة الدّراسات الفلسطينية، 2009م، المجلد 20\ع 78.
- عوني فارس، ساري عرابي، مفاهيم ومصطلحات القضية الفلسطينية، ط1، مركز رؤية للتنمية السياسية، تركيا، 2016م.
 - محمد اشتية وآخرون، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، دار الجليل
 للنشر، عمان، 2011م.
 - ممدي عرار، جدل اللفظ والمعنى، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 1995م.
 - ابن منظور، محمد بن مكر ّم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، 1290م.
 - ميئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، الموسوعة الفلسطينية الميسرة، * ط2، أروقة للدراسات والنشر، عمان، 2013م.
 - نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط6، دار المختصر للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1441ه.
 - معايير المقاطعة ومنامضة التطبيع 12-10-2020، رابط الموقع: https://tinyurl.com/3z7xbm74